Hind Kamil KHUDAIR ¹

**SEX BETWEEN THE FRAGMENTATION OF IDENTITY
AND THE CONTINUATION OF THE PATTERN YAZIDI
WOMEN AS A MODEL
(STUDY IN LIGHT OF CULTURAL CRITICISM)**

<http://dx.doi.org/10.47832/2717-8293.2-3.28>

Research Article

Received:

19/12/2020

Accepted:

09/01/2021

Published:

01/02/2021

This article has been
scanned by iThenticate
No plagiarism detected

Copyright © Published by
Rimak Journal,
www.rimakjournal.com

Rimar Academy, Fatih,
Istanbul, 34093 Turkey
All rights reserved

Abstract:

There is no doubt that cultural criticism as a holistic term is a field of knowledge, and a reality in which the cultural system takes a central and pivotal unit, and as it is known - culture floats on its surface a system of many ideological systems and systems, in terms of (gender, religion, language, race, etc.) Of the other systems), and most of these concepts are driven and nourished by the pattern, that pattern deposited in a society, a country, or the mentality of human culture, and then its impact appears evident on the consumers of the system as individuals or society. The (female) pattern of gender is ancient, as old as the pre-Islamic life, its idea and its alphabet coexisted, for when the tribe's wars quelled a victory over the other, she was captivated and captured, and as a development for other eras women began to sell in the markets that culture nourished by the pattern of its eternity and its contents and is still arrogant to this day Our souls. represented by an independent mythological framework by itself, the rule of minorities as drawn by the institutional culture is a consumption that is reproduced according to contexts including religious, political, economic and others, describing minorities as an ethnic characteristic and a numerically inferior group, and accordingly the Yazidi sect was treated during the ISIS war in Iraq (where this The sect used to live in the northern regions of it) in the most cruel manner, as their blood and their women were permitted Describing that these are infidels and apostates from the religion of Islam - according to the ISIS belief - and then they are permitted to control and dominate them, and accordingly the Yazidi women met the exclusion and torture that they were raped and sold for many times in the slavery market, and the culture of collective struggle was practiced on them that they adopted in excluding these The sect, and exploited the Yazidi women in acts of slavery and slavery, and then they were killed, displaced and lost.

Key words: Minorities, Identification, The Different, Extermination.

¹ Researcher, Directorate of Education Dhiqar , Iraq, hindkamel90@gmail.com, <https://orcid.org/0000-0002-8256-5050>

الجنس بين تشظي الهوية واستمرار النسق النساء الإيزيديات أنموذجاً (دراسة في ضوء النقد الثقافي)

هند كامل خضير²

الملخص

مما لا شك فيه أنّ النقد الثقافي بوصفه مصطلحاً شمولياً يعدّ حقلاً معرفياً، وواقعاً يتخذ النسق الثقافي فيه وحدة مركزية ومحورية، وكما -هو معروف- أن الثقافة تطفو على سطحها منظومة كثيرة الأنساق والأنظمة الأيديولوجية، من نحو (الجنس، والدين، واللغة، والعرق وغيرها من الأنساق الأخرى)، وجلّ هذه المفاهيم يُحرّكها النسق ويغذيها، ذلك النسق المترسّب لدى مجتمع ما، أو بلد ما، أو في ذهنية الثقافة البشرية، ومن ثم يبدو تأثيره جلياً لدى مستهلكي النسق أفراداً أو مجتمعاً. ونسق الجنس (الأنثى)، قديم، قدم الحياة الجاهلية، قد تعايشت فكرته وأبجدياته، إذ كانت المرأة عندما تخمد حروب القبيلة انتصاراً على الأخرى تسبى وتؤسر، وتطوراً للعصور الأخرى أخذت تُباع المرأة في الأسواق، تلك الثقافة غداها النسق بأزليته واحتواتها وما زالت إلى يومنا هذا متغطرة في نفوسنا. وبما أنّ الأيزيدية طائفة دينية وأقلية يمثلها إطار مثيولوجي مستقل بنفسه، وحكم الأقليات كما رسمته الثقافة المؤسسية استهلاك يُعاد إنتاجه وفق سياقات بما فيها الدينية والسياسية والاقتصادية وغيرها؛ بوصف الأقليات خاصية عرقية وجماعة متدنية عددياً، وعليه غُوملت الطائفة الأيزيدية عند حرب داعش في العراق (حيث هذه الطائفة كانت تسكن المناطق الشمالية منه) بأشد أنواع القسوة، إذ أُبيح دمهم ونسائهم؛ بوصفهم كفار ومردون عن الدين الإسلام - حسب الاعتقاد الداعشي - لذا فإنهم مباحون لهم من كل الجوانب، وعليه لاقت المرأة الأيزيدية ما لاقت من الإقصاء والتعذيب حيث أغتصبت وبيعت لمرات عديدة في سوق النخاسين، ومورست عليها ثقافة جهاد النكاح الجماعي الذي تبنته تلك الجماعة في إقصاء هذه الطائفة، واستغلت النساء الإيزيديات في أعمال الرّق والاسترقاق، ومن ثم تعرضن للقتل والتشريد والضياع.

الكلمات المفتاحية: الأقليات، الهوية، المختلف، الإبادة.

المقدمة:

الخطاب الثقافي مزدحم - دائماً - بالمختلف أو الآخر، وفي ثقافة الكثير ممّا يتخذ الآخر مكاناً بارزاً، وعليه جار هذا المفهوم ضمن حقول اصطلاحية معرفية يتدارسه الباحثون؛ وذلك من خلال تراكمه على سطوح الثقافات التي رُوّجت له ككائن غريباً دخلت من منظوماتها المؤسسية.

الاختلاف مفهوم شاسع، تتركز سياقاته على سمات عديدة قد تكون أيديولوجية أو مثيولوجية أو من حيث اللغة أو التاريخ. فضلاً عن ذلك نحن إزاء مُحدّدات يمكن القول من خلالها إن مفهوم المختلف ينطوي في الكثير من الأحيان على مفاهيم جوهرية تتعلق بالذات التي على إثرها يتولّد أو يتحدّد آخر هذه الذات، وبالطبع أنّ تشكيل الهوية الثقافية رهينٌ بظهور الوعي لدى فرد ما أو جماعة ما بخصوصيته من جهة ومن اختلافه من جهة أخرى، ف((الهوية تُولد من إدراك الاختلاف)) (تودوروف، 1993، ص 225)، ومن ثم فهي مفهوم ((يحمل معنى المشابهة والاختلاف في الوقت ذاته)) (د. نادر كاظم، 2004، ص 59)، وبما أن الطبقات الاجتماعية ((في تفاعلها مع بعضها منوط بصراع " طبقي، أثني، جغرافي...)) وتموقع الذات من ذلك يحدد صور الآخر في هيبته وسطوته، فهو يحتل الطبقة الأدنى في سلم أو هرم الهويات فهو شخصية مستضعفة من أكثر من طرف، ما دفع به كل هذا الضغط إلى صراعات نفسية محتدمة داخله))

² الباحثة، مديرة تربية ذي قار، العراق، hindkamel90@gmail.com

(تجاني حسناء، رسالة ماجستير، 2016، ص 73) ومن جهة أخرى مفهوم الهيمنة ((يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمفهوم الذات (المزاحة عن المركز)) (أديث كريزويل، تر: جابر عصفور، ص 417)، وعليه تكونت صورة الإيزيديين من خلال المخزون الضخم في متخيل الثقافات والتي يستدعي مرجعيات لفهم ظروفه تشكله من جهة وسبب رسوخه وتفسيره من جهة أخرى، غير أننا سوف نركز البحث على مرجعيتين أساسيتين هما: مرجعية الجنس (الأنثى)، مرجعية (الدين) بوصفهما المحرك الأساس للمتحيل الثقافي في علاقته مع هذه الطائفة. وتكون هاتين المرجعيتين في ضمن سياق يتحدد إزاءه دلالاته المختلف الإيزيدي هما:

المبحث الأول

السياق المعرفي (هوية المختلف)

بالطبع سنثار أمامنا بعض الأسئلة، ما أهمية التعرّف على مفهوم الجنس في السياق المعرفي؟ وما فائدة هذه المعرفة في تفسير الصور الإقصائية أو الانتقاصية ودلالاتها التي رسمها أو نحتها الآخر المُقصي إتجاه المرأة الإيزيدية؟ نقول: تكمن العلاقة بين كلّ ما سبق وبين مفهوم المختلف الذي يبدو على ضوءه المختلف، حقلاً تكوينياً أساسياً للهوية، أي الذات الإيزيدية و على ضوءها تتحدد هويتها، وهذه الخاصية هي عملية إدراكية، تدركها الذات من الطفولة ومنذ وعيها بالاختلاف عن غيرها.

ومن جانب آخر منطق المتخيل الثقافي أن الإيزيدية، قومية أو شريحة، هي عبدة الشيطان، لهم طقوسهم الخاصة بهم، وهي طائفة تعيش العزلة عن الطبقات الاجتماعية الأخرى، حيث عرّفهم أحد الباحثين ((طائفة من الأكراد وهم ليسوا مسلمين إنهم يزيديون، ولهم رسوم وعادات ومذاهب مختلفة... ويعبدون إبليس... ومن النحل الغامضة التي لم يُبت في أمر أصلها ونشأتها...)) (بايزيدي، 2010، ص 128)، وهذه الطبقات بطبيعة الحال في علاقات متبادلة كأفراد أو جماعات تفرض وجودها كطبقة مسيطرة أو قوية تأتي في قبال الطبقة الضعيفة بوصف الإيزيدية طبقة أقلية، على الرغم من إعلان العالمي لحقوق الإنسان في نصّ مادته: ((يُولد جميع الناس أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق، وقد وهبوا عقلاً وضميراً وعيهم أن يعامل بعضهم بعضاً بروح الإخاء)) (اليزيدي، 2011، ص 227)، ومن جانب أهمّ أن هناك علاقة بين كلّ ما سبق وبين الوازع الديني، في أن هذا الآخر (الدين) يتحدد مفهوم الإنسان بمفهومه الذي تتقبله كلّ ثقافة ما؛ ((حيث إن لكلّ أمة ولكلّ ثقافة مفهومها الخاصّ عن الدين، ومن ثم عن الإنسان)) (كاظم، نادر، 2004، ص 107)، وبالطبع هذا السياق- المعرفي- عامة ما ينطبق على المرأة الإيزيدية فبفعل العوامل السابقة، أُستغلت عامة وجنسياً خاصة، إذ ذكر أنّ في إبادة داعش الأخيرة، كان من ضمن المختطفين الذي وقعوا في قبضتهم هم من النساء الإيزيديات وقد بلغ عددهن (3538) امرأة، اللاتي تعرّضن للاعتداء الجنسي والاستغلال من قبل عناصر داعش (يُنظر: الحري، 2020، ص 120) وعليه أستخدمت المرأة سلعة تُباع وتُشترى، فقد أرسلت النساء الإيزيديات المسببات إلى سوريا؛ لغرض البيع، إذ تُباع الواحدة منهن بمبلغ قدره (1000 دولار أمريكي)، فضلاً عما قام به داعش من توزيع بعض الفتيات ما يقارب عددهن (300) الإيزيديات بعد أسرهن على مقاتليه فهن في نظره سبايا حرب، وقد ذكرت الفتاة الناجية (نادية مراد) أنّه قد تمّ أسرها وتعرّضها للاغتصاب الجماعي.

وأن هذا التصوّر المعرفي عن شريحة الإيزيديات الذي أسّسه النسق الثقافي والذي بدوره يؤسّس رؤية كونية للمؤمنين به، فضلاً عن ذلك يقترح تصوراً مخصوصاً للمختلف عنه؛ بوصف أن الربط بين الفرد وما يكتنفه من الدين أو اللغة أو الملبس أو حتى السياسة، شائع في أغلب الثقافات التي بلغت درجة متضخمة من الشعور بالذات والتمركز حولها (يُنظر: ترفتان تودوروف، 1998، ص 17).

وعليه مثلت المرأة الإيزيدية في صورتها المختلفة معرفياً أو مغايرة هوية تكوينية، وفي ظل هذا باتت طرفاً نقبضاً للذات المتمركز والذي هو من يحدّد هويتها باختلافه عنها، وهوية الإيزيديات هي المثال الإنساني المُقصي عن دائرة الاهتمام والمنبوذ في عرف الاختلاف والمقموع من قبل مؤسسات المجتمع والعقيدة والسلطة، بوصف أنّ مفهوم السلطة يتداخل مع مفهوم التسلّط الذي يراد به الممارسة غير المشروعة للقوة؛ بقصد أو لتجسد الهيمنة والسيطرة المحضبة، وتحقيق المصالح الشخصية، وليس لتنظيم الحياة وضبطها، وبهذا لا تقوم هرمية النظام أو المناخ المتسلّط على الاستجابة الطوعية في إدارته وإنما يمارس سلطته على ميكانزمات عدة في تحقيق أهدافه منها العنف والقهر (يُنظر:

علي أسعد وطفة، ص 128-135)، وهو ما اتسمت به الإبادات الجماعية للإيزيديين والإيزيديات والتي حصرتها في نمطين: الأول، (الاختزال) الذي يؤدي إلى إلغاء الآخر أو اختزاله في بعدٍ واحدٍ، كما في اختزالهم في صورة التكفير؛ نظراً لأفكار التي جاءوا بها ولمحاربة ممّن يخالفهم في الرأي ((حيث الأولوية لمحاربة أتباع الديانات الأخرى... بحجة متطلبات قيام الدولة الإسلامية)) (ديوان الوقف الشيعي، الأمانة العامة للمزارات الشيعية الشريفة في العراق، 2019، ص31)، وهذا الاختزال يكمن للإيزيديين الضرية القاضية؛ بوصف الدين هوية انتمائية أولى في تصوّر الفرد وذهنيته وهذا ما يسميه كليفورد غريترس بـ "قوة النسق الثقافي، والذي يعني به مركزية نسق ثقافي ما من (دين، وفن، سياسة، وعلم) (يُنظر: كاظم، نادر، 2004، ص 102)، وقد مثلت إبادة داعش الأخيرة ذلك الاختزال خير تمثيل، وذلك من خلال تأكيدها في مجلة دابق التابعة لها، قائلة: ((على المرء أن يتذكر أن استعباد عائلات الكفّار وأخذ نسائهم سبائاً وجه ثابت من أوجه الشريعة، فمذهبهم منحرف عن الصواب...))، وقد مارست جماعات داعش ((أبشع صور الاستغلال إتجاه المرأة، ما جعلها تحصد نصيب الأسد من جرائمه في العراق وسوريا من الاغتصاب والضرب والزواج السري)) (فاروق، عمر، 2015، ص222). وبما أن الدين لهذه الطائفة يمثل حالة هامشية في نظر الآخر فهم مستباحون في متبنياته الثقافية، فمقياس ((الإيمان والكفر، والتحصّر والتوحش مثلاً القاعدة المرجعية التي من خلالها أصدرت النخب العربية الإسلامية في أحكامها على الآخرين)) (محمد نور الدين أفاية، 2000، ص 205)؛ لذا تشكّل الهوية المختلفة رهين بظهور وعي بخصوصيتها لدى جماعة ما. وبقدر ما تتجلى نزعة الذات المهيمنة في كشف الاختلاف تضرر في دواخلها دلالات النبذ وقطع الصلة والاستئثار خلف الممارسة الثقافية وقيمها، وتبقى الهوية المتشظية باحثة عن التجلي والاندماج، ومن ثم تصبح قاعدة لممارسة الظلم والعنف مجدداً.

إمّا النمط الآخر، فهو (الإسقاط) يكمن هذا النمط من خلال قراءة الطرف المعادي للمختلف قراءة ليس عن طريق اختلاف الذات عن الآخر من حيث الاختلاف، بل من خلال الصورة التشيئية المريدة التي رسمتها الذات المتمركزة عن الآخر المقصي، أي أن الذات تسقط ما في ذهنيته على الآخر، وهذا ما يمكن تجسده من خلال ما ارتكبه داعش في إرهابها ضد الإيزيديين، وبحسب الوثيقة – وثيقة المدينة بوصفها بنداً رسمياً للإبادة- فإن ((المرأة بكاملها عورة، وعليها الالتزام ببيتها وعدم الخروج من دون محرم، وعند خروجها، يفرض عليها ارتداء العباءة الفضفاضة والنقاب)) (عمرو فاروق، ص 221)، فالنمطان يُؤدّيان الوظيفة نفسها، فكلّ منهما يكتمل بعضه أو يجري مهام النمط الآخر، ومن ذلك ما جرى فعله من قبل تنظيم داعش للأسر الإيزيدية لا سيّما المرأة في إرهابه على العراق، فهو يُسقط على هذه الطائفة أبجديات ثقافته لتصبح هذه الذات المُقصية (المرأة) مرآة ذاته المتمركزة، فربّما ((حلم هارون الرشيد كان يُداعب أفكار قادة داعش وأتباعهم في أن ترتدى مئات النساء تحت أقدامهم أو ربّما شعورهم بلذة الانتصار على فتيات الجنس الآخر كان دافعاً قوياً لعرضهن في سوق السبايا وسلب حريتهن تحت غطاء تطبيق الشريعة الإسلامية) (فاروق، عمر، ص222)

المبحث الثاني

السّياق الأخلاقي أو القيمي (اختلاف الهوية)

بالرغم من الحياة السليمة والودّية التي يعيشها الإيزيدون وينشدونها في سلوكها في الحياة العامة واليومية إتجاه آخرهم المختلف في الدين والقومية، فهم شعب سلميون لا يعرفون طريق البغض والحقد والكرهية إتجاه الآخرين، إلا الإبادة الأخيرة أدّت بها إلى حياة مسربة بالقهر والضياع والتشريد بلا وطن ولا مأوى؛ حياة مسكونة بالقسوة ومنطوية على صوت القتل، بل جردوا حتى من القيمة المعنوية من خلال المعاملة التي عوملوا بها بما لا يرضاه منطق الإنسانية، بيد أن تعمق هذا المعطى المأسوي يفرضه سياق التحولات السياسية التي مرّ بها البلاد، ولكّنه – هذه المرّة - تخطّت وقائع الإبادات السابقة إلى نطاق العالم الحديث و يواكب موجة العصر وتطوراتها، حيث أخذت تعرض النساء الإيزيديات (الفتيات والمتزوجات) إلكترونياً ويتم التفاوض عليها من حيث السعر بين البائع والمشتري؛ لذا من إبرز الشيفرات الثقافية التي يمكن الإشارة إليها في هذا السّياق، هو الموقع الذي ترسمه الذات إتجاه آخرها، وهذا التحديد للموقع المعنوي يتجسّد على ضوءه القبول أو الرفض، والحسن من السيء حكماً للآخر المختلف، بوصف أن الانتماء الاجتماعي هو ((إتجاه يستشعر من خلاله الفرد توحده بالجماعة، وبكونه جزءاً مقبولاً منها، ويستحوذ على مكانة متميّزة في الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه)) (محمد خليفة عبد اللطيف، ص21) وبهذا يكون السّلم التراتبي سياق ينبي عليه

(الطرف الميهم) مقبولة أو عدمية الآخر المقصي، وبلا شك أن هذا المعيار الثقافي كقيمة معنوية رُسمت إتجاهها هوية الإيزيديين؛ بوصف أن تحديد الهوية للمختلف هي جزء من موقف إخلاقي.

فالعداونية أو الهجينة التي أطلقها العدو إتجاه الإيزيديين لاسيما المرأة، كانت حكماً قيمياً أو إخلاقياً، حيث أن التقسيم الإباضي الذي جاءت به على سبيل المثال (إبادة داعش الأخيرة) تقسيم مذهبي، أولاً فصل نساء الإيزيديات عن المسيحيات وعن الكرديات، لكنّ موقفهم مع المرأة الإيزيدية كان مختلفاً على النحو العام اتّجاه النساء الأخريات، فموقفهم مثير لعلامات الاستفهام، فهم ينتقدون سلوكيات أو الممارسات الدينية التي يقتنها صاحب الطائفة أو الأقلية، وفي الوقت نفسه يتماهون مع السلوك الشاذ أو غير المقبول الذي رفضه الإسلام قاطبةً؛ بوصف داعش أتى بفكر إسلامي ممنهج حسب قواعده هو، وأراد تطبيقه على الآخر المختلف بالطائفة والقومية. فالسبي في الإسلام هو باب مرفوض وغير مشروع، فهو يُحرّم سبي النساء مطلقاً سواء أكان للأقلية أو الأكثرية، وسواء أكان للمسلمة أو غير المسلمة، وجاء استغلال داعش للإيزيديات واستغلالهن في غير ما خلقن له هو مخالفة صريحة للإسلام (يُنظر: د. نجم، إبراهيم، مقال نت، 9/مارس/2016). فما روته النّاجيات الإيزيديات ممّن تعرّضن له، قالت إحدهن رواية قصها ((كنت مع أختي شكية وأمي وأبي... أخذونا من بيتنا في كوجو في سيارات كبيرة، ونقلونا إلى الموصل... ثم أخذوني مع شكية وبنات أخريات إلى بناية في سوريا، وهناك وزعونا على المقاتلين بأسعار محددة المقاتل الذي أخذنا باعنا بالمفرد. الرجل الذي اشتري بالقوة من دون أختي كان من طاجكستان... وبعد بضعة أيام، باعني إلى شخص آخر تركي، اسمه أبو دجان. وهذا أخذني إلى منطقة رقة؛ حيث سجنني ٤٥ يوماً، وكان يغتصبني كل يوم، أخذ لي صورة، وأنا عارية، وعمل صفقة بيع من خلال الصورة مع واحد سعودي، اسمه أبو فرقان، بعد ٤٢ يوماً، باعني أبو فرقان لسعودي آخر، اسمه الدشامي، وهذا كان عنيفاً جداً في اغتصابه لي، وبعد ٢٧ يوماً، باعني إلى آخر، اسمه أبو حمزة، وهو عراقي...)) (دنيا ميخائيل، 2017)

وبالطبع فإنّ الإشكالية، هي إشكالية مثولوجية في المقام الأول الذي يطرح الإيزيديات على حافة الطريق ومن ثم تكون عرض لإملاآت الذات المُقصية وهذا ما روته إحدى النّاجيات من قبضة داعش وفرارها إلى أحد البيوت المحيطة ملاذة من الخوف، روته قصتها: ((فطلبت من امرأة كانت واقفة أمام منزلها أن تساعدني... قالت المرأة أنت. إذن. من الكفار. دفعتني إلى غرفة، ثم أخذت تضربني بعصا خشبية... وحين جاء زوجها إلى البيت، ورآني، نادى على زوجته (أم عبدالمك، من هذه؟) قالت له: (هذه كافرة، هربت من المجاهدين) كنت هناك منكشمة في زاوية الغرفة حين عاد الرجل بخرطوم مياه. ظل يضربني به حتى سالت الدماء من جسدي... حاول أبو عبدالمك بيعي، ولكن؛ لم يوافق أحد على شراي... اغتصبني أبو عبدالمك بمباركة زوجته)) (دنيا ميخائيل)، فتلك الهوية الملتسبة (الكفار) بقت متعلقة بوعي غريب عن ذاته وبماض ومحيط مصنوع من المتخيل، وعليه تسعى الفتيات النّاجيات، من خلال الذات الداخلية إلى تثبيت ذاكرة لوجودها الحسي الذي يتهدهد الاعتداء في أي لحظة، واستكناه هوية نوعية متعالية على تصنيفات العرق، واللسان والمعتقد، هوية قادرة على عبور الحدود والانتماءات المغلقة، كما روينه الفتيات اللاتي نجون، قالت بديعة فتاة إيزيدية، حين سُئلت كيف نجت من داعش؟ أجابت: كان لابد من الحيل ((الحيلة الأولى كانت عدم الاستحمام لكي تنفر رائحة جسدها المشترين، الحيلة الثانية كانت الإدعاء بأنّها متزوجة ولديها أطفال؛ لأنّ تسويق المتزوجات بين مجرمي داعش أصعب من غير المتزوجات. أمّا الحيلة الثالثة فكانت التظاهر بأنها حامل لكي تتجنب الاغتصاب ولو لبعض الوقت. وكان في جعبة بديعة حيل أخرى)) (دنيا ميخائيل).

والحال الذي وصلن إليه يُرثى له حيث حصل لهن عند إعلان الداعشي البائع للمرأة الإيزيدية، وتصل أسعاره أرقاماً ذات دلالة على هوان الإنسان وقيّمته البشرية (يُنظر: ميخائيل دنيا). وعلى هذا النحو، تتراصف لنا المقاطع الألمية والعذاب الدامغ لأحوال القهر الذي تعرّضن له، هي الصورة التشيئية التي وضعن فيها، فالمرأة عُوملت كأنّها شيء فائض عن الحاجة أو زائد، إذ عُرضت للإيجار والتهجير القسري، قتلت أزواجهن أمام أعينهن وبعض الآخر اغتصبت المرأة أمام زوجها أو أخويها، واستعمل أطفالهن لعمليات الانتحار الجهادي والتجنيد الإلزامي مع التنظيم. كلّ هذه الصور من المصادرة والنفي للمرأة الإيزيدية مضمونها لا يتجلى إلا من ((واقع وجود فاعل يُمارس سلطته على آخر)) (ريكور بول، ص 592)، فالمنفي قد ((افتقد بوصلته الموجهة، يستعيد مكاناً على سبيل الافتراض؛ ليجعل منه مركزاً لذاته)) (د. عبد الله إبراهيم، المؤسسة العربية 2011، ص 14)

من هنا فإنّ ثمة اختزال للإيزيديات في صورة واحدة؛ لأنّ غالباً ما يكون المقصود بالآخر هو ((صورته، والصورة بناء في المخيال فيها تمثّل واختراع، ولأنّها كذلك فهي تحيل إلى واقع بانيتها أكثر ممّا تحيل إلى واقع آخر)) (باحثات، 1999، ص 262). والإبادة التي تعرّض لها هؤلاء النساء تحمل جينات الثقافة المعنوية عليهن من خلال المنهج الذي عوملن إتجاهه، ومن ثم أفكار داعش ومنهجهم يعد في نهاية المطاف عن رؤية كبرى لعالمه الذي جاء به لبناء أوتاده وتصوغه معتقدات ومؤثرات سياسية فضلاً عن العوامل التاريخية.

فالسّياق الثقافي الذي تخلّقت من خلاله المرجعيات الدينية المتطرفة الذي جاءت به داعش وغيرها من الجماعات المنحلة اجتماعياً ودينياً اتخذت من النساء قطب الرّجى، وهذا يعكس الوظيفة أو المكانة السيوسولوجية الرافضة لجنس المرأة، ومن ثم فالموروث الديني يترك بصماته في التكوين النفسي الذي يُساهم في تهميش المرأة، فثقافتهم تضمّر في بنيتها فلسفة المرأة تجاه الحياة من خلال أفكارهم، فهي تؤصل لبيئة جاهلية ولطقوسها الدينية التي تلف حبالها حول خناق الأثني ولاسيما المرأة العذراء، الذي أصبح قوة أساسية ومحركاً كونياً لأحداث هذا العصر، ثم يعطي صورة عكسية للمرأة، حيث أنّ المرأة دائماً تكون ضحية للثقافات الذكورية التي تجعل المرأة قرباناً لشرف الآلهة، ولاسيما المرأة / العذراء باعتبار الجسد الأنثوي هو ((نتاج ثقافي تخط عليه كل ثقافة ما شاءت من القيم والرموز والمعتقدات وتتخذه بتصورات إيديولوجية ذكورية)) (سلمى بالحاج مبروك، ص 358)، ثقافة الإبادة الجسدية التي تعرّض لها الإيزيديات تضعنا النص وجهاً لوجه أمام ثقافة الواد الجسدي للمرأة لكن بطريقة أخرى تتمثّل بتقديمها قرباناً لوحوش بشرية وفقاً لمتطلبات الثقافة (ثقافة الدين الجاهلي) البائد الذي يمجّد الذكورة ويهّمش الأنوثة.

فلم يتعارف أنّ هناك قرباناً لأمراة يقدم جسدها لنكاح جماعي، حيث استعمل جسد الإيزيديات ملكاً خاصاً تتداوله البروتوكولات ثقافة دينية لم ينزل الله بها من سلطان، فجّل الأديان السماوية والمعتقدات الدنيوية، وكلّ الفلسفات تحترم الجسد إلى حدّ التحريم، وما كان فن التحنيط عند المصريين إلّا صورة من صورة تقديس الجسد الإنسانيّ (يُنظر: د. سيار الجميل، 146، عالم الفكر، مج: 37، 2009) وقد روت إحدى النّاجيات من إرهاب داعش، ما جرى عليهن، قائلة: ((أخذوا الرجال أولاً، ثم النساء والأطفال في سيارات كبيرة، وتوجهوا بنا نحو الموصل... فصلوا البنات العذراوات عن النساء المتزوجات... قالوا لنا إنّنا يجب أن نتزوج على طريقتهم، وإننا كافرات، ولابد أن نعتنق الإسلام... ثم نقلونا إلى بناية في منطقة الرقة في سوريا، وهناك وضعونا في مزاد للبيع. كان الرجال يزايدون على أسعارنا أحياناً بدولار واحد أعلى من السعر الذي قبله حتى سمعت البائع ينادي: ٢٠٠ دولار، من يزايد؟ لا أحد؟ بيعت». أعطوني ورقة عليها اسم المشتري، وقالوا هذه وثيقة زواجي... الرجل الذي اشتريني قال بأني أصبحت زوجته. قلت له: «أليس الزواج بالمتزوجات حرام؟!» فرد: «ليس إذا كن إيزيديات» (مخائيل، 2017).

الخاتمة

وختاماً لنتائج البحث، توصلت الباحثة إلى:

1. إنّ الأقليات بغض النظر عن دينها ومسمياتها ولا سيّما الأقلية الإيزيدية تعيش مترسبات الثقافات والأيديولوجيات النسقية التي توارثتها الأمم وطبقتها المؤسسات
2. على مدار (٧٢) مرّة، إبادة تعرّضت لها القومية الأيزيدية ولاسيما إبادة داعش الأخيرة، كانت حصّة المرأة الإيزيدية منها، والضحية الأولى، فعزلها عن بيتها وأبنائها، ومن ثم سبها وبيعها واغتصابها.
3. كان العامل الميثولوجي الذريعة الأولى لاستباحتها جنسياً بوصفه لا وجود له، أو دين مكفّر قبال الدين الإسلامي، ومن ثم على وفق سلوك الدين الإسلامي -المفترض - طُبق عليها قانون جهاد النكاح، ومن ثم كان الواعز الديني غاية ووسيلة عوملت على وفقه الإيزيديات مادياً ومعنوياً.
4. أضطهدت المرأة الإيزيدية عاطفياً ومعنوياً، حيث وأد ذكرها أو حتى المطالبة بحقوقها ورد الانتهاكات التي تعرّضت لها، فالكثير ممّن نجّون من قبضة داعش اضطرن إلى اللجوء إلى بلاد أخرى غير بلادهن، لتحقيق العيش بأمان، فالأهل قتلوا والديار أهدمت، وعليه عشن اغتراب المكان واغتراب الهوية .

قائمة المصادر والمراجع

- إبراهيم، عبد الله، السرد، والاعتراف، والهوية، بيروت، المؤسسة العربية، ط1، 2011.
- إديث كريزويل، تر: جابر عصفور، عصر البنيوية، الكويت، دار سعاد الصباح، ط1، 1993م.
- باحثات، تجمع الباحثات اللبنانيات، بيروت، الكتاب الخامس، (1998-1999).
- بايزيدي، ملاً محمود، تحقيق: جان دوست، ترجمة: جان دوست، رسالة في عادات الأكراد وتقاليدهم، الإمارات العربية المتحدة – أبو ظبي، ط1، 2010 م.
- الحريري، جاسم، قراءة في التحديات تجاه العراق ودول مجلس التعاون الخليجي بعد عام 2018، عمان، دار الجنان للنشر والتوزيع، ط1، 2020.
- ديوان الوقف الشيعي، الأمانة العامة للمزارات الشيعية الشريفة في العراق، جرائم داعش والاعتداء على المزارات ودور العبادة، العراق، 2019.
- ريكور بول، ترجمة: جورج زيناقي، بيروت، منشورات المنظمة العربية للترجمة، 2005.
- الزبيدي، د. هيثم أحمد، ثقافة العنف في المجتمع العراقي، دمشق، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2011 م.
- فاروق، عمر، داعش سفراء جهنم: الحياة في أحضان الدم، القاهرة، كنوز للنشر والمعرفة، ط1، 2015.
- كاظم، نادر، تمثيلات الآخر – صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، بيروت – لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2004م.
- مجموعة من الأكاديميين العرب (الرابطة العربية الأكاديمية للفلسفة)، الفلسفة والنسوية، في فضح ازدراء الحق الأنثوي ونقضه والتمركز الذكوري ونقده، إشراف وتحرير: د.علي عبود المحمداوي، بيروت، منشورات الضفاف ط1، 2013. التأسيس لهوية أنثوية خارج الباراديغم الذكوري عند سيمون دي بوفوار، سلمى بالحاج مبروك، ضمن كتاب الفلسفة والنسوية .
- مجد خليفة عبد اللطيف، دراسات في سيكولوجيا الاغتراب، القاهرة، دار غريب، (ب.ط)، 2003.
- ميخائيل، دنيا، في سوق السبايا، منشورات المتوسط، مدينة ميلانو، إيطاليا، 2017م.

الدوريات:

- الجميل، ستار، فلسفة الجسد والتفكير الإنساني (رؤية عربية)، مجلة علم الفكر، العدد: 4، مجلد: 37، يونيو 2009.
- تودوروف (تزفتان)، تفاعل الثقافات، تر: مجموعة من الباحثين، مجلة فصول، العدد: 2، المجلد 12، 1993.

الرسائل الأكاديمية:

- تجاني حسناء، تشظي الهوية وأزمة الانتماء في الخطاب الروائي المعاصر رواية "ساق البامبو" لسعود السنعوسي – انموذجاً، رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2016.

شبكة الانترنت:

- علي أسعد وطفة بين السلطة والتسلط، دراسة تحليلية، (hp alsulta.pdf).
- سبي النساء محرم، 9/مارس/2016، موقع أرفع صوتك